ملاحق الخليج, ملحق تراث

27 مارس 2014 05:51 صباحا

قلعة كلباء عبقرية العقل العسكري

الشارقة ـ "الخليج":

إذا كانت مدينة كلباء التي تقع على الخليج العربي من المدن التاريخية المهمة في الإمارات، فإنها كانت طوال التاريخ حاضنة ما لا ينتهي من القصص والحكايات، وذكرها ياقوت الحموي وابن بطوطة، وتعد قلعتها الشهيرة إحدى أهم القلاع الأثرية، نظراً لموقعها الاستراتيجي، ودورها الذي قامت به لحظة بنائها، وهو يدل على عظمة العقل الذي بناها، ودليل على تشبث ابن المكان بجغرافيته، ليصد أي اعتداء عليها، لاسيما أن موقعها الحساس كان يعرضها لتكون هدفاً للطامعين، على الدوام .

حصنت قلعة كلباء التي كتب عنها كثيرون من الباحثين والدارسين بأسلوب عسكري دفاعي يتجسد في تفاصيله المعمارية وطريقة بنائه و مواده الإنشائية، ويقع مبنى القلعة فوق مصطبة أولى مربعة تقريباً ارتفاعها متر وثمانون سنتيمتراً، وضلعها من الشمال ثلاثون متراً ومن الجنوب ثلاثون متراً ومن الجانبين الشرقي والغربي ثمانية وعشرون متراً . كما أن المصطبة الثانية تأتي على شكل مربع ضلعه بين عشرين وواحد وعشرين متراً بينما يبلغ ارتفاعه ستة أمتار وثمانين سنتيمتراً . ويتألف المبنى من أحد عشر جزءاً هي: البرج، المساند، المربعة، المخزن، البئر، الساحة، الحمام، السلم، الستارة والمسننات حول الساحة، الأبواب والشبابيك الخشبية .

ويلاحظ زائر القلعة وجود ممر منخفض بمقدار متر واحد عن مستوى أرضية المصطبة العليا "الثانية" من جدار طولي من الشمال إلى الجنوب حيث رأسه شمالاً ملتحم مع الجدار الخارجي الشمالي للمصطبة وجنوباً يتداخل مع جدران بدن البرج من الخارج، وفائدة هذا الجدار تحديد مسار الممر، كذلك ضبط أرضية الساحة أمام المربعة شرقاً، وجدار الممر الشرقي الخارجي هو جدار المصطبة في امتداده للأعلى ونهاية الجدار تتوزع عليها المسننات الموضوعة لغرض حربي دفاعي على اعتبار أن الموقع هو حصن .

ويحتل برج قلعة كلباء في الركن الجنوبي الشرقي مكاناً ملاصقاً للضلعين الشرقي والجنوبي، ويمتاز بجدرانه الخارجية التي تشكل الانحدار أو المخروط . وبناء جدران البرج من "الحجر والجص" مع استخدام حصى الوديان القريبة وسمكه "40–50" سم، كما أن الأسس متلاحمة ومتداخلة مع جدران المصطبة الثانية، وبهذا فهو يعتبر معمارياً من عداد الأبراج المتصلة، كما أنه مدعوم بثلاث دعامات أو مساند من الخارج لتقويته .

والبرج نفسه يتألف من أقسام عدة، هي: الكبس، الطابق الأرضي، الطابق الأول، النوافذ المزاغل العمودية، المزاغل الدائرية، السلم، الستارة والمسننات . والكبس أو "الدفن" هو جوف البرج المدفون بالتراب وبارتفاع ثلاثة أمتار وتسعين سنتيمتراً .

وتخترق جدران بدن البرج منافذ عددها اثنان مقاسها "40–50" سنتيمتراً، بينما نجد أن المزاغل العمودية تتخلل جدران البرج بشكل دائري، ويبلغ عددها تسعة مزاغل موزعة في الطابق الأرضي على جميع الجهات، عدا القسم المواجه لممر أخدود الدفاع نحو الغرب . أما المزاغل العمودية في الطابق الأول، فإنها موزعة كذلك وهذه المزاغل خصصت حسب مواقعها للدفاع والاطلاع على جوانب المنطقة المحيطة بالحصن شرقاً .

ويتبين أن المزاغل العمودية تبنى خلال بناء جدران بدن البرج ومقاساتها طولاً من الداخل أصغر من الخارج وهذا الأسلوب يساعد المدافعين على الرمي والتصويب نحو العدو ومشاهدته من فتحة أكبر، كذلك يكون قسمه العلوي والسفلي مستقيماً مستوياً منحدراً نحو الداخل، ليساعد بذلك على الدفاع عن المناطق البعيدة والقريبة من الحصن .

ومن الأمكنة المهمة في البرج "المخزن" وهو عبارة عن غرفة مستطيلة، تقع بجانب الغرفة المربعة غرباً، ويشترك جزء كبير من جدار المربعة الغربي بينهما، وتكون جدران المخزن الجنوبية مع امتداد جدار المربعة الجنوبي، وهو يتألف من: الجدران، المدخل/ الباب، نوافذ مغلقة من الداخل والسقف والأرضية .

ومن العلامات المميزة في البرج أن بناء السقف يعتمد على خشب الجندل والدعون والحصر وطبقات من الجص والحجر مع الاهتمام بالانحدار، لتسريب مياه الأمطار بوساطة "المزاريب" نحو الساحة .

البئر من العناصر المهمة للحصن لتأمين استمرارية الحياة، وتوفير إحدى الضروريات لصمود الحرس المدافعين، وتبلغ فتحة البئر حوالي متر واحد، وبعمق يتراوح حسب ارتفاع مستوى المياه الجوفية ويظهر بأن العمق ستة أمتار، ومذاق الماء فيه ملوحة، ويمكن من خلال تنظيفه، ومع كثرة الاستعمال أن يتم تخفيف مستوى الملوحة، وتظهر في بطن البئر حفر جانبية "درجات" تساعد في أعمال تنظيف البئر حسب الحاجة، وتم تنظيفها وترميم جوانبها وبناء القسم العلوي "الفم"، وهو يستخدم ـ حالياً ـ معرضاً للأسلحة .

ويحيط مصطبة الحصن العليا جدار بشكل ستارة، وتختلف ارتفاعات جدران الستارة حسب موقعها، وجميعها تحمل مسننات لغرض دفاعي والتستر خلفها والرمي من بين فتحاتها، ويظهر شكلها فوق البرج بيضوياً، بينما فوق ستارة المصطبة العليا وغرفة الطابق الأول من المربعة مثلثات للأهداف ذاتها .

"حقوق النشر محفوظة "لصحيفة الخليج .2024 ©